



ذكر بعض الآيات والأحاديث والآثار في بيان أصل التسليم وتعظيمه وأحوال أهله

• أولاً: الآيات من كتاب الله ﷻ:

الآيات في ذكر الإسلام والتسليم والمسلمين كثيرة جداً، أسرد فيما يلي أكثرها، ثم أخص بعد ذلك بعض هذه الآيات بشيء من الشرح والبيان، من خلال ما ذكره أئمة التفسير والعقيدة والأخلاق حولها:

١ - قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

٢ - وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

٣ - وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفِهَةِ نَفْسِهِ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ

كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَايَكَ إِذْ رَأَيْهِمْ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿البقرة: ١٣٠ - ١٣٣﴾.

٤- وقوله تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

٥- وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

٦- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ ءَاسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٩ - ٢٠].

٧- وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

٨- وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

٩- وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

١٠- وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

١١- وقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِۦ يُرْجَعُونَ﴾ (٨٣) ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٤) ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٣ - ٨٥].

١٢- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ اتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَٰتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

١٣- وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

١٤- وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

١٥- وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيتَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

١٦- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

١٧- وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَخِيذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤].

١٨- وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ

حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَبٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى اثْنَتَا قُلُوبًا هُدَى اللَّهُ هُوَ
الْهُدَى وَأَمَرَنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ [الأنعام: ٧١].

١٩- وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ
يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ
يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ
مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥ - ١٢٦].

٢٠- وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ
وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾
[الأنعام: ١٦١ - ١٦٣].

٢١- وقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَنقُمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْتَ
ءَاَمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾
[الأعراف: ١٢٥ - ١٢٦].

٢٢- وقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ
كَبْرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا
أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا
تُنْظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى
اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧١ - ٧٢].

٢٣- وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ

مُفْتَرِيَةٍ وَادْعُوا مَن أَسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُم فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ
أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ [هود: ١٣ - ١٤].

٢٤- وقوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مَن تَأْوِيلُ
الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ [يوسف: ١٠١].

٢٥- وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ
وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسَلِّمُونَ ﴿٨١﴾ [النحل: ٨١].

٢٦- وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ
وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ
شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

٢٧- وقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ [النحل: ١٠٢].

٢٨- وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا
يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾
[الأنبياء: ١٠٧ - ١٠٨].

٢٩- وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

٣٠- وقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

٣١- وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

٣٢- وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٢ - ٤٤].

٣٣- وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ النَّمْلَ إِذَا وَلَوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨٠ - ٨١].

٣٤- وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا

وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١].

٣٥- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ

ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُنَادَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا

بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥١ - ٥٣].

٣٦- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا

الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُم

وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُكُم وَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

٣٧- وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُتُّ

إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

٣٨- وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ

أَسْتَمَسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

٣٩- وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾

[الأحزاب: ٢٢].

٤٠- وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِنْ شَيْعَةٍ لِأَبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ

سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣ - ٨٤].

٤١ - وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (١٣) وَتَدَيَّنَهُ أَنْ يَتَابَرَهِيَهُ (١٠٤)

فَدَصَدَّتْ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿[الصافات: ١٠٣ - ١٠٥].

٤٢ - وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ

أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الزمر: ١١ - ١٢].

٤٣ - وقوله تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ

الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

٤٤ - وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا

جَاءَ فِي الْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٦].

٤٥ - وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا

وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وكل الآيات الآتفة الذكر تتضمن معنى الإسلام والتسليم لله ﷻ،

وإخلاص التوحيد له سبحانه ظاهراً وباطناً، أي أنها في معنى الدين كله

والإخلاص لله ﷻ، والانقياد له ظاهراً وباطناً، وذلك عندما يأتي ذكر

الإسلام منفرداً، وبقي من الآيات التي ورد فيها وصف الإسلام بأنه

الانقياد ظاهراً، ولا يلزم منه الانقياد باطناً، وذلك في تلك الآيات التي

اقترن فيها الإسلام بالإيمان، حيث يتوجه وصف الإيمان إلى الاعتقاد

والانقياد بالقلب والإسلام علانية، ومن هذه الآيات:

• قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِضِينَ وَالْخَافِضَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

• قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنَاطٍ تَنَبَّتٍ عِيدَاتٍ سَيِّحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحریم: ٥].

• قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

• قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ - ٣٦].

والذي يهمننا في هذه الدراسة هو معنى الإسلام بمفهومه الشامل الذي هو الدين والتسليم لله ﷻ ظاهراً وباطناً، ولذا نجد في كل هذه الآيات أن ذكر الإسلام والتسليم جاء مفرداً عن الإيمان.

وبعد ذكر هذه الآيات الكرييات التي يبين فيها الله سبحانه وتعالى حقيقة دين الإسلام، وأنه الاستسلام والتسليم لله ﷻ، والانقياد له سبحانه بإخلاص العبادة له ﷻ، وتوحيده، والتسليم لحكمه وأمره. يحسن الوقوف عند ثلاث آيات كرييات من هذه الآيات، يتجلى فيها حقيقة التسليم لله ﷻ، وإخلاص التوحيد والانقياد له سبحانه وتعالى، وذلك من خلال أقوال بعض المفسرين في شرحهم لها.

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ ﴿البقرة: ١٣٠ - ١٣١﴾.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

الآية الثالثة: قوله سبحانه في وصف خليفه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣ - ٨٤].

شرح الآية الأولى:

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

«يقول تبارك وتعالى رَدًّا على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله، المخالف لملة إبراهيم الخليل، إمام الحنفاء، فإنه جرد توحيد

ربه تبارك وتعالى، فلم يدع معه غيره، ولا أشرك به طرفة عين، وتبرأ من كل معبود سواه، وخالف في ذلك سائر قومه، حتى تبرأ من أبيه، فقال: ﴿يَقُولُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿[الأنعام: ٧٨-٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (١٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجَبْتَهُ وَهَدَيْتَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿[النحل: ١٢٠-١٢٢]، ولهذا وأمثاله قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: ١٣٠] أي: عن طريقته ومنهجها، فيخالفها ويرغب عنها ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]، أي: ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال، حيث خالف طريق من اصطفى في الدنيا للهداية والرشاد، من حداثة سنه إلى أن اتخذه الله خليلاً، وهو في الآخرة من الصالحين السعداء - فترك طريقه هذا ومسلكه وملته، واتبع طرق الضلالة والغي، فأى سفه أعظم من هذا؟ أم أي ظلم أكبر من هذا؟ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] أي: أمره الله بالإخلاص له والاستسلام والانقياد، فأجاب إلى ذلك شرعاً وقدرًا^(١)..

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عند هذه الآيات:

«فقسم سبحانه الخلائق قسمين: سفيهاً لا أسفه منه، ورشيذاً. فالسفيه من رغب عن ملته إلى الشرك، والرشيذ من تبرأ من الشرك قولاً وعملاً وحالاً، فكان قوله توحيداً وعمله توحيداً وحاله توحيداً ودعوته إلى التوحيد، وبهذا أمر الله سبحانه جميع المرسلين من أولهم إلى آخرهم، قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥١-٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

... وهذا في القرآن كثير، بل هو أكثر من أن يذكر، وهو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وذروة سنامه وقطب رحاه، وأمرنا تعالى أن نتأسى بإمام هذا التوحيد في نفيه وإثباته، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٥٤١-٥٤٦، ط. طيبة (باختصار يسير).

... وإذا تدبرت القرآن من أوله إلى آخره رأيتَه يدور على هذا التوحيد وتقريره وحقوقه.

قال شيخنا: والخيلان هم أكمل خاصة الخاصة توحيداً، ولا يجوز أن يكون في الأمة من هو أكمل توحيداً من نبي من الأنبياء، فضلاً عن الرسل، فضلاً عن أولي العزم، فضلاً عن الخليلين، وكمال هذا التوحيد أن لا يبقى في القلب شيء لغير الله أصلاً، بل يبقى العبد مولياً لربه في كل شيء، يحب من أحب وما أحب، ويبغض من أبغض وما أبغض، ويوالي من يوالي، ويعادي من يعادي، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما نهى عنه»^(١).

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى:

«أي: ما يرغب ﴿عَنْ مَلَّةٍ إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: ١٣٠] بعد ما عرف من فضله ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠] أي: جهلها وامتهنها، ورضي لها بالدون، وباعها بصفقة المغبون، كما أنه لا أرشد وأكمل، ممن يرغب في ملة إبراهيم، ثم أخبر عن حالته في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ١٣٠] أي: اخترناه ووقفناه للأعمال، التي صار بها من المصطفين الأخيار ﴿وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠] الذين لهم أعلى الدرجات.

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٨٢ (باختصار).

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ﴾ [البقرة: ١٣١] امتثالاً لربه ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] إخلاصاً وتوحيداً، ومحبة، وإنابة، فكان التوحيد لله نعتة.

ثم ورثه في ذريته، ووصاهم به، وجعلها كلمة باقية في عقبه، وتوارثت فيهم، حتى وصلت ليعقوب، فوصى بها بنيه^(١).
ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى:

«هذه هي ملة إبراهيم... الإسم الخالص الصريح.. لا يرغب عنها وينصرف إلا ظالم لنفسه، سفيه عليها، ومستهتر بها.. إبراهيم الذي اصطفاه ربه في الدنيا إماماً، وشهد له في الآخرة بالصلاح.. اصطفاه ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ [البقرة: ١٣١].. فلم يتلكأ، ولم يرتب، ولم ينحرف، واستجاب فور تلقي الأمر.

﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]..

هذه هي ملة إبراهيم.. الإسلام الخالص الصريح.. ولم يكتف إبراهيم بنفسه إنما تركها في عقبه، وجعلها وصيته في ذريته، ووصى بها إبراهيم بنيه، كما وصى بها يعقوب بنيه. ويعقوب هو إسرائيل الذي يتسبون إليه، ثم لا يلبون وصيته، ووصية جده وجدهم إبراهيم!^(٢).

(١) تفسير السعدي (١/٦٦).

(٢) في ظلال القرآن ١/١١٥، ١١٦.

الآيتان الثانية والثالثة:

• قوله تعالى في دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ (٨٧)

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿الشعراء:

.[٨٩ - ٨٧]

• وقوله سبحانه في الثناء على خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِنِّ مِنْ

شُعْبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿[الصفات: ٨٣ - ٨٤].

وكلتا الآيتين ورد فيهما ذكر القلب السليم. فما حقيقة القلب

السليم عند أهل المعاني والتفسير؟

يعرف القرطبي رحمه الله تعالى القلب السليم فيقول:

«قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصفات: ٨٤] أي: مخلص

من الشرك والشك، وقال عوف الأعرابي: سألت محمد بن سيرين

ما القلب السليم؟ فقال: الناصح لله ﷻ في خلقه. وذكر الطبري عن

غالب القطان وعوف وغيرهما عن محمد بن سيرين، قال عوف: قلت

لمحمد: ما القلب السليم؟ قال: أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة

قائمة، وأن الله يبعث من في القبور. وقال هشام بن عروة: كان أبي

يقول لنا: يا بني لا تكونوا العانين ألم تروا إلى إبراهيم لم يلعن شيئاً قط،

فقال تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصفات: ٨٤]، ويحتمل مجيئه

إلى ربه وجهين: أحدهما عند دعائه إلى توحيده وطاعته، والثاني عند إلقائه في النار^(١).

وقال الثعلبي رحمته الله تعالى في تفسيره لآية الشعراء:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۚ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩] خالص من الشرك والشك، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال سعيد بن المسيب: القلب السليم هو الصحيح، وهو قلب المؤمن، لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قال الله سبحانه: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠].

وقال أبو عثمان النيسابوري: هو القلب الخالي من البدعة، المطمئن على السنة^(٢).

ويقول الشيخ السعدي في تفسيره:

«والقلب السليم معناه: الذي سلم من الشرك والشك، ومحبة الشر، والإصرار على البدعة والذنوب. ويلزم من سلامته مما ذكر اتصافه بأضدادها من الإخلاص والعلم واليقين ومحبة الخير وتزيينه في قلبه، وأن تكون إرادته ومحبته تابعة لمحبة الله، وهواه تابعاً لما جاء عن الله»^(٣).

(١) تفسير القرطبي ٩١ / ١٥.

(٢) الكشف والبيان ١٧١ / ٧.

(٣) تفسير السعدي ص ٥٩٣.

ومن أحسن ما وقفت عليه في تعريف القلب السليم تعريفاً جامعاً شاملاً ما ذكره الإمام ابن القيم في أكثر من موطن في كتبه، ومن ذلك قوله رحمه الله تعالى:

«والسليم: هو السالم، وجاء على هذا المثل لأنه للصفات، كالطويل والقصير والظريف، فالسليم: القلب الذي قد صارت السلامة صفة ثابتة له: كالعليم والقدير، وأيضاً فإنه ضد المريض والسليم والعليل».

وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم. والأمر الجامع لذلك: أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره. فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله ﷺ، فسلم في محبته مع تحكيمه لرسوله ﷺ في خوفه ورجائه والتوكل عليه، والإنابة إليه، والذل له، وإيثار مرضاته في كل حال، والتباعد من سخطه بكل طريق. وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده.

فالقلب السليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شركة بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى: إرادةً، ومحبةً، وتوكلاً، وإنابةً، وإخباتاً، وخشيةً، ورجاءً. وخلص عمله وأمره كله لله، فإن أحب أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى الله، وإن منع منع الله، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحاكم

لكل من عدا رسول الله ﷺ، فيعقد قلبه معه عقدًا محكمًا على الائتھام والاقْتداء به وحده، دون كل أحد في الأقوال والأعمال: من أقوال القلب، وهي العقائد. وأقوال اللسان، وهي الخبر عما في القلب. وأعمال القلب، وهي الإرادة والمحبة والكراهية وتوابعها. وأعمال الجوارح، فيكون الحكم عليه في ذلك كله دقه وجله: لما جاء به الرسول ﷺ. فلا يتقدم بين يديه بعقيدة ولا قول ولا عمل، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]، أي: لا تقولوا حتى يقول، ولا تفعلوا حتى يأمر.

قال بعض السلف: ما من فعلة، وإن صغرت، إلا ينشر لها ديوانان:

لم؟ وكيف؟ أي: لم فعلت؟ وكيف فعلت؟.

فالأول سؤال: عن علة الفعل وباعثه وداعيه: هل هو حظ عاجل من حظوظ العامل، وغرض من أغراض النفس في محبة المدح من الناس وخوف ذمهم؟ أو استجلاب محبوب عاجل أو دفع مكروه عاجل، أم الباعث على الفعل القيام بحق العبودية لله، وطلب التودد والتقرب إلى الرب سبحانه، وابتغاء الوسيلة إليه؟.

ومحل هذا السؤال: أنه هل كان عليك أن تفعل هذا الفعل لمولاك أم فعلته لحظك وهوأك؟.

والثاني: سؤالك عن متابعة الرسول عليه الصلاة والسلام في ذلك التعب؟

أي هل كان ذلك العمل بما شرعته لك على لسان رسولي، أم كان عملاً لم أشرعه ولم أرضه؟.

فالأول: سؤال عن الإخلاص.

والثاني: عن المتابعة. فإن الله سبحانه لا يقبل عملاً إلا بهما.

فطريق التخلص من السؤال الأول: بتجريد الإخلاص. وطريق التخلص من السؤال الثاني: بتحقيق المتابعة. وسلامة القلب من إرادة تعارض الإخلاص، ومن هوى يعارض الاتباع. فهذا حقيقة سلامة القلب. فمن سلم قلبه ضمنت له النجاة والسعادة^(١).

ومن تعريفاته الجامعة للتسليم والقلب السليم قوله رحمه الله تعالى:

«اعلم أن التسليم هو الخلاص من شبهة تعارض الخبر أو شهوة تعارض الأمر أو إرادة تعارض الإخلاص أو اعتراض يعارض القدر والشرع. وصاحب هذا التخلص هو صاحب القلب السليم، الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به»^(٢).

(١) التفسير القيم ٢/ ٧٠-٧٢.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ١٤٧، ١٤٨.

وأختار في هذا المقام نموذجاً عظيماً من نماذج التسليم والاستسلام لله ﷻ، ألا وهو استسلام إبراهيم عليه السلام لأمر ربه في ذبح ابنه، استحق من أجل ذلك وغيره من النماذج أن يصفه ربه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصفات: ٨٤]. وقد أحسن سيد قطب رحمه الله تعالى في تصوير هذا المشهد من مشاهد التسليم من الوالد والولد، أسوقه بطوله لفائدته وتأثيره في النفوس:

قال رحمه الله تعالى:

«واستجاب الله دعاء عبده الصالح المتجرد، الذي ترك وراءه كل شيء، وجاء إليه بقلب سليم ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصفات: ١٠١]. هو إسماعيل كما يرجح سياق السيرة والسورة، وسنرى آثار حلمه الذي وصفه ربه به وهو غلام. ولنا أن نتصور فرحة إبراهيم الوحيد المفرد المهاجر المقطوع من أهله وقرابته. لنا أن نتصور فرحته بهذا الغلام، الذي يصفه ربه بأنه حلیم.

والآن آن أن نطلع على الموقف العظيم الكريم الفريد في حياة إبراهيم. بل في حياة البشر أجمعين. وأن أن نقف من سياق القصة في القرآن أمام المثل الموحى، الذي يعرضه الله للأمة المسلمة من حياة أبيها إبراهيم. ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنِيْٓ إِنِّيْٓ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّيْٓ أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰٓ ۚ قَالَ يَتَأَبَّٓتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيْٓ إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصفات: ١٠٢].

يا الله! وبالروعة الإيمان والطاعة والتسليم.

هذا إبراهيم الشيخ. المقطوع من الأهل والقراية. المهاجر من الأرض والوطن. ها هو ذا يرزق في كبره وهرمه بغلام. طالما تطلع إليه. فلما جاءه جاء غلامًا ممتازًا، يشهد له ربه بأنه حليم. ها هو ذا ما يكاد يأنس به، وصباه يتفتح، ويبلغ معه السعي، ويرافقه في الحياة.. ها هو ذا ما يكاد يأنس ويستروح بهذا الغلام الوحيد، حتى يرى في منامه أنه يذبحه. ويدرك أنها إشارة من ربه بالتضحية. فماذا؟ إنه لا يتردد، ولا يخالجه إلا شعور الطاعة، ولا يخطر له إلا خاطر التسليم.. نعم إنها إشارة. مجرد إشارة. وليست وحيًا صريحًا، ولا أمرًا مباشرًا. ولكنها إشارة من ربه. وهذا يكفي.. هذا يكفي ليلبي ويستجيب. ودون أن يعترض. ودون أن يسأل ربه.. لماذا يا ربي أذبح ابني الوحيد؟!

ولكنه لا يلبي في انزعاج، ولا يستسلم في جزع، ولا يطيع في اضطراب.. كلا إنما هو القبول والرضى والطمأنينة والهدوء. يبدو ذلك في كلماته لابنه، وهو يعرض عليه الأمر الهائل في هدوء، وفي اطمئنان عجيب: ﴿كَأَلَيْسَ إِنَّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات: ١٠٢].

فهذه كلمات المالك لأعصابه، المطمئن للأمر الذي يواجهه، والواثق بأنه يؤدي واجبه، وهي في الوقت ذاته كلمات المؤمن، الذي

لا يهوله الأمر فيؤديه في اندفاع وعجلة ليخلص منه وينتهي، ويستريح من ثقله على أعصابه!

والأمر شاق، ما في ذلك شك، فهو لا يطلب إليه أن يرسل بابنه الوحيد إلى معركة. ولا يطلب إليه أن يكلفه أمرًا تنتهي به حياته.. إنما يطلب إليه أن يتولى هو بيده. يتولى ماذا؟ يتولى ذبحه... وهو مع هذا يتلقى الأمر هذا التلقي، ويعرض على ابنه هذا العرض؛ ويطلب إليه أن يتروى في أمره، وأن يرى فيه رأيه!

إنه لا يأخذ ابنه على غرة، لينفذ إشارة ربه وينتهي. إنما يعرض الأمر عليه كالذي يعرض المؤلف من الأمر. فالأمر في حسه هكذا. ربه يريد. فليكن ما يريد. على العين والرأس. وابنُه ينبغي أن يعرف. وأن يأخذ الأمر طاعة وإسلامًا، لا قهراً واضطراراً. لينال هو الآخر، أجر الطاعة، وليسلم هو الآخر، ويتذوق حلاوة التسليم! إنه يجب لابنه أن يتذوق لذة التطوع التي ذاقها؛ وأن ينال الخير الذي يراه هو أبقى من الحياة وأقنى.

فماذا يكون من أمر الغلام، الذي يعرض عليه الذبح، تصديقاً لرؤيا رآها أبوه؟

إنه يرتقي إلى الأفق الذي ارتقى إليه من قبل أبوه.

﴿قَالَ يَتَابِتْ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

إنه يتلقى الأمر لا في طاعة واستسلام فحسب. ولكن في رضى كذلك وفي يقين ﴿يَأْتِ﴾.. في مودة وقربى. فشح الذبح لا يزعجه ولا يفرعه ولا يفقده رشده. بل لا يفقده أدبه ومودته.

﴿أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾.. فهو يحس ما أحسه من قبل قلب أبيه. يحس أن الرؤيا إشارة. وأن الإشارة أمر. وأنها تكفي لكي يلبي وينفذ بغير لجلجة ولا تمحل ولا ارتياب.

ثم هو الأدب مع الله، ومعرفة حدود قدرته وطاقته في الاحتمال؛ والاستعانة بربه على ضعفه، ونسبة الفضل إليه في إعانته على التضحية، ومساعدته على الطاعة.

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصفات: ١٠٢]..

ولم يأخذها بطولة، ولم يأخذها شجاعة، ولم يأخذها اندفاعاً إلى الخطر دون مبالاة. ولم يظهر لشخصه ظلاً ولا حجماً ولا وزناً.. إنما أرجع الفضل كله لله إن هو أعانه على ما يطلب إليه، وأصبره على ما يراد به.

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾..

يا للأدب مع الله! وبالروعة الإيمان. وبالنبيل الطاعة، وبالعظمة التسليم! ويخطو المشهد خطوة أخرى وراء الحوار والكلام.. يخطو إلى التنفيذ.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ، لِلْجَبِينِ﴾ [الصفات: ١٠٣]..

ومرة أخرى يرتفع نبل الطاعة وعظمة الإيمان، وطمأنينة الرضى وراء كل ما تعارف عليه بنو الإنسان.. إن الرجل يمضي فيكب ابنه على جبينه استعداداً. وإن الغلام يستسلم فلا يتحرك امتناعاً. وقد وصل الأمر إلى أن يكون عياناً.

لقد أسلما.. فهذا هو الإسلام، هذا هو الإسلام في حقيقته، ثقة و طاعة و طمأنينة و رضى و تسليم.. وتنفيذ.. وكلاهما لا يجد في نفسه إلا هذه المشاعر، التي لا يصنعها غير الإيمان العظيم.

إنها ليست الشجاعة والجرأة، وليس الاندفاع والحماسة، لقد يندفع المجاهد في الميدان، يُقْتَلُ وَيُقْتَلُ، ولقد يندفع الفدائي وهو يعلم أنه قد لا يعود، ولكن هذا كله شيء، والذي يصنعه إبراهيم وإسماعيل هنا شيء آخر.. ليس هنا دم فائر، ولا حماسة دافعة، ولا اندفاع في عجلة، تخفي وراءها الخوف من الضعف والنكوص! إنما هو الاستسلام الواعي المتعقل القاصد المرید، العارف بما يفعل، المطمئن لما يكون.

لا بل هنا الرضى الهادئ المستبشر المتذوق للطاعة وطعمها

الجميل!

وهنا كان إبراهيم وإسماعيل قد أديا، كانا قد أسلما. كانا قد حققا الأمر والتكليف، ولم يكن باقياً إلا أن يذبح إسماعيل، ويسيل دمه، وتزهق روحه.. وهذا أمر لا يعني شيئاً في ميزان الله، بعدما وضع إبراهيم وإسماعيل في هذا الميزان من روحهما وعزمهما ومشاعرهما كل ما أرادته منهما ربهما..

كان الابتلاء قد تم، والامتحان قد وقع، ونتائجه قد ظهرت، وغاياته قد تحققت، ولم يعد إلا الألم البدني، وإلا الدم المسفوح، والجسد الذبيح. والله لا يريد أن يعذب عباده بالابتلاء، ولا يريد دمائهم وأجسادهم في شيء، ومتى خلصوا له واستعدوا للأداء بكلياتهم فقد أدوا، وقد حققوا التكليف، وقد جازوا الامتحان بنجاح.

وعلم الله من إبراهيم وإسماعيل صدقهما، فاعتبرهما قد أديا وحققا وصدقاً:

﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: ١٠٤ - ١٠٧]..

قد صدقت الرويا وحققتها فعلاً، فالله لا يريد إلا الإسلام والاستسلام، بحيث لا يبقى في النفس ما تكنه عن الله، أو تعزه عن أمره، أو تحتفظ به دونه، ولو كان هو الابن فلذة الكبد. ولو كانت

هي النفس والحياة، وأنت يا إبراهيم قد فعلت، جدت بكل شيء، وبأعز شيء، وجدت به في رضى وفي هدوء وفي طمأنينة وفي يقين. فلم يبق إلا اللحم والدم. وهذا ينوب عنه ذبح، أي ذبح من دم ولحم! ويفدي الله هذه النفس التي أسلمت وأدت. يفديها بذبح عظيم، قيل: إنه كبش وجده إبراهيم مهياً بفعل ربه وإرادته، ليذبحه بدلاً من إسماعيل!

وقيل له: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصفات: ١٠٥].. نجزيهم باختيارهم لمثل هذا البلاء، ونجزيهم بتوجيه قلوبهم ورفعها إلى مستوى الوفاء، ونجزيهم بإقذارهم وإصبارهم على الأداء، ونجزيهم كذلك باستحقاق الجزاء! ومضت بذلك سنة النحر في الأضحى، ذكرى لهذا الحادث العظيم، الذي يرتفع منارة لحقيقة الإيمان، وجمال الطاعة، وعظمة التسليم، والذي ترجع إليه الأمة المسلمة لتعرف فيه حقيقة أبيها إبراهيم، الذي تتبع ملته، والذي ترث نسبه وعقيدته، ولتدرك طبيعة العقيدة التي تقوم بها أو تقوم عليها، ولتعرف أنها الاستسلام لقدر الله في طاعة راضية واثقة ملبية، لا تسأل ربها لماذا؟ ولا تتلجلج في تحقيق إرادته عند أول إشارة منه وأول توجيه. ولا تستبقي لنفسها في نفسها شيئاً، ولا تختار فيما تقدمه لربها هيئة ولا طريقة لتقديمه، إلا كما يطلب هو إليها أن تقدم!

ثم لتعرف أن ربها لا يريد أن يعذبها بالابتلاء؛ ولا أن يؤذيها بالبلاء، إنما يريد أن تأتيه طائعة ملبية وافية مؤدية، مستسلمة لا تقدم بين يديه، ولا تتألى عليه، فإذا عرف منها الصدق في هذا أعفاها من التضحيات والآلام»^(١).

ولقد خلد الله ﷻ ذكرى هذا التسليم العظيم، فجعل ذكراها شعيرتين عظيمتين يقوم بها ملايين المسلمين على مدار تاريخ المسلمين، ألا وهما: رمي الجمار في الحج، وذبح الأضاحي كل عام. ذلك أن ذبح الأضحية تحليد لذكرى تضحية إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام واستسلامهما لأمر ربهما. كما أن في رمي الجمار تحليداً لذكرى تسليم إبراهيم عليه السلام لربه في ذبح ابنه، ورميه للشيطان ثلاث مرات في مواقع الجمرات اليوم عندما اعترض له، ليرده عن تنفيذ أمر ربه.

ومن نماذج التسليم في حياة إبراهيم عليه السلام وما أكثرها.. ما رواه البخاري في صحيحه عن مجيء إبراهيم بابنه إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة، وفيه: (أن إبراهيم جاء بها وابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندها جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفا إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٩٤-٢٩٩٦.

ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذا لا يضيعنا. ثم رجعت^(١)، ولقد خلد الله ﷺ ذكرى هذا التسليم العظيم من إبراهيم عليه السلام وهاجر عليه السلام في شعيرة السعي بين الصفا والمروة التي يؤديها ملايين المسلمين في كل حج وعمره، فياليتنا نتذكر هذا التسليم عند أدائنا لهذه الشعيرة، حتى يزداد إيماننا وتسليمنا.

• ثانيًا: الأحاديث من السنة النبوية

الحديث الأول:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله كفنا من الأعمال ما نطبق. الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطبقها قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا. بل قولوا: سمعنا

(١) البخاري (٣٣٦٤).

وَأَطَعْنَا غَفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها! ﴿عَٰمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله ﷻ! ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال: نعم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال: نعم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال: نعم: ﴿وَاغْفِرْ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال: نعم^(١).

الحديث الثاني:

عن شداد بن أوس رضي الله عنه أنه قال: احفظوا عني ما أقول لكم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كنز الناس الذهب والفضة، فاكثروا هذه الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً

(١) مسلم (١٢٥).

سليماً ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب»^(١).

الحديث الثالث:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يغفل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»^(٢).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «أي لا يبقى في القلب غل، ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة، بل تنفي عنه غله، وتنقيه منه، وتخرجه منه، فإن القلب يغفل على الشرك أعظم غل، وكذلك يغفل على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلال، فهذه الثلاثة تملؤه غلاً ودغلاً. ودواء هذا الغل واستخراج أخلاطه، بتجريد الإخلاص، والنصح، ومتابعة السنة»^(٣).

أي من أخلص أعماله كلها لله، ونصح في أموره كلها لعباد الله، ولزوم الجماعة بالائتلاف، وعدم الاختلاف، وصار قلبه صافياً نقيّاً، صار لله وليّاً، ومن كان بخلاف ذلك، امتلأ قلبه من كل آفة وشر، والله أعلم.

(١) المسند (١٧١١٤)، الترمذي (٣٤٠٧) وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢٢٨).

(٢) الترمذي (٢٦٥٨) وابن ماجه (٢٣٠) وصححه ابن حبان (٦٨٠).

(٣) مدارج السالكين ٢ / ٩٠.

الحديث الرابع:

عن عروة بن الزبير قال: خاصم الزبير رضي الله عنه رجل من الأنصار، فقال النبي ﷺ: «يا زبير اسق، ثم أرسل»، فقال الأنصاري: إنه ابن عمك! فقال ﷺ: «اسق يا زبير، ثم يبلغ الماء الجدر، ثم أمسك»، فقال الزبير: فأحسب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] ^(١).

الحديث الخامس:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «يا فلان إذا أويت إلى فراشك قل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبئك الذي أرسلت. فإنك إن مت في ليلتك مت على الفطرة، وإن أصبحت أصبت أجراً» ^(٢).

الحديث السادس:

عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس، وضاعت

(١) البخاري (٢٣٦١) وهذا من خصم الزبير نفاقاً.

(٢) البخاري (٧٤٨٨)، مسلم (٢٧١٠).

العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسقى الله لنا، فإننا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. قال رسول الله ﷺ: «ويحك أتدري ما تقول؟!» وسبح رسول الله ﷺ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «ويحك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟ إن عرشه على سمواته هكذا». وقال بأصابعه مثل القبة عليه^(١).

الحديث السابع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس، فقال: «بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضر بها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث. فقال الناس: سبحان الله بقرة تكلم! فقال: فإني أؤمن بهذا، أنا وأبو بكر وعمر. وما هما ثم، وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب، فذهب منها بشاة، فطلب حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب هذا: استنقذتها مني، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري؟! فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم؟! قال: فإني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر. وما هما ثم»^(٢).

(١) رواه أبو داود (٤٧٢٨) وقال أبو داود. والحديث بإسناد أحمد بن سعيد أحد رواة السند - هو الصحيح، وافقه عليه جماعة.

(٢) البخاري (٣٤٧١)، مسلم (٢٣٨٨).

الحديث الثامن:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئاً، وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين...»^(١) الحديث.

الحديث التاسع:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن نفراً كانوا جلوساً بباب النبي ﷺ، فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ فسمع ذلك رسول الله ﷺ فخرج، كأنها فقيء في وجهه حب الرمان، فقال: «بهذا أمرتم، أو بهذا بعثتم؟! أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض. إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا. إنكم لستم مما هنا في شيء، انظروا الذي أمرتم به، فاعملوا به والذي نهيتم عنه فانتهوا»^(٢).

وأما نماذج التسليم في حياة نبينا محمد ﷺ فما أكثرها وأجلها، بل إن حياته ﷺ منذ أن بعث بالرسالة إلى أن التحق بالرفيق الأعلى كلها تسليم ويقين وانقياد لله ﻋﻠﻴﻪ، ويظهر ذلك في تبليغه لدعوة الله ﻋﻠﻴﻪ

(١) مسلم (٧٧١).

(٢) أحمد (٦٨٤٥).

وصبره العظيم بكل رضى وطمأنينة على كل الابتلاءات، والثبات على هذا الدين، كما تمثل في هجره لوطنه الحبيب إلى قلبه في سبيل الله ﷻ، وحسن ظنه بالله وطمأنينته وهو في طريق الهجرة وهو في الغار ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. ثم تضحيته في سبيل الله بنفسه وماله في غزواته العظيمة وثباته وبقينه بنصر الله ﷻ، كما ظهر هذا التسليم في صلح الحديبية وهو يعقد الصلح مع كفار قريش، ذلك الصلح الذي لم يصبر على بنوده بعض سادات الصحابة رضي الله عنهم، حيث كان يقول لمن يعترض عليه: «إنه ربي ولن يضيعني». وغيرها وغيرها من نماذج التسليم كثير، وكثير في حياته عليه الصلاة والسلام.

• ثالثاً: الآثار من أقوال السلف وأحوالهم:

١ - عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس! قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن قال ذلك لقد صدق. قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن

يصبح؟! فقال: نعم إني لأصدقته ما هو أبعد من ذلك، أصدقته في خبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١).

٢- روى البخاري في صحيحه قال: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذي يدينهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر، ومشاورته: كهولاً كانوا أو شباناً. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي هل لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله (٢).

(١) المستدرک للحاکم، وقال صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه (٤٤٥٨) ورواه الطبري في تهذيب الآثار (٧٤٧).
(٢) صحیح البخاری (٤٦٤٢).

٣- ورضي الله عن الفاروق عمر، إذ يقول عن الحجر الأسود: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك»^(١).

يقول الحافظ ابن حجر: «وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما شرعه ولو لم يعلم الحكمة فيه»^(٢).

٤- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلى بأصحابه، إذ خلع نعليه، فوضعها عن يساره، فلما رأى ذلك القوم، ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «ما حملكم على إلقاء نعالكم؟» قالوا: رأيناك ألقيت نعليك، فألقينا نعالنا. فقال رسول الله ﷺ: «إن جبريل عليه السلام أتاني فأخبرني أن فيها قدرًا - أو قال: أذى»^(٣).

٥- يحدث عمران بن حصين رضي الله عنه فيقول: قال رسول الله ﷺ: «الحياء كله خير»، فقال بشير بن كعب: إنا لنجد في بعض الكتب أن منه سكينه ووقارًا لله، ومنه ضعف. قال: فغضب عمران

(١) البخاري (١٥٩٧)، مسلم (١٢٧٠).

(٢) فتح الباري ٣/ ٤٦٣.

(٣) أبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٦٥٧).

حتى احمرت عيناه، وقال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه. قال فأعاد عمران الحديث، وأعاد الرجل مقالته. فغضب عمران، حتى قال الحاضرون له: إنه منا يا أبا نجيد، إنه لا بأس به^(١). أي ليس ممن يتهم بنفاق أو زندقة.

٦- سألت امرأة عائشة رضي الله عنها: (ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت عائشة: أحرورية أنت؟ فقالت المرأة: لست حرورية، ولكنني أسأل. قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة)^(٢).

٧- عن أم سلمة رضي الله عنها: قالت: لما نزل ﴿يَذْنِبْنَ عَلَىٰ مَنْ جَلَبِيهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية^(٣).

٨- عن البراء رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده، أو قال أخواله من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم

(١) مسلم (٣٧).

(٢) مسلم (٣٣٥).

(٣) أبو داود (٤١٠٣) وصححه الألباني.

راكون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة. فداروا كما هم قبل البيت»^(١).

٩- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شراهم إلا الفضيخ البسر والتمر، فإذا مناد ينادي، فقال: اخرج فانظر. فخرجت فإذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت. قال: فجرت سكك المدينة، فقال لي أبو طلحة: اخرج فاهرقها فهرقتها»^(٢).

١٠- ولما عارض بلال بن عبد الله بن عمر قوله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» برأيه وعقله، وقال: والله لنمنعهن. أقبل عليه أبوه عبد الله فسبه سباً ما سبه مثله، وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ، وتقول: والله لنمنعهن!!^(٣).

١١- ولما حدث عبادة بن الصامت رضي الله عنه بقول النبي ﷺ: «الفضة بالفضة ربا إلا هاء وهاء» الحديث. قال معاوية: ما أرى بهذا بأساً. يعني بيع آنية الفضة بالفضة متفاضلاً، غضب عبادة وقال: تراني أقول قال رسول الله، وتقول: ما أرى بهذا بأساً.

(١) البخاري (٤٠).

(٢) مسلم (١٩٨٠).

(٣) مسلم (٤٤٢).

لا أساكنك بأرض أنت بها أبدا^(١). ومعاوية لم يعارض النص بالرأي، وكان أتقى الله من ذلك، وإنما خصص عمومه، وقيد مطلقه بهذه الصورة وما شابهها، ورأى أن التفاضل في مقابل أثر الصنعة لم يدخل في الحديث. وهذا مما يسوغ فيه الاجتهاد، وإنما أنكر عليه عبادة مقابله لما رواه بهذا الرأي، ولو قال له نعم حديث رسول الله على الرأس والعين، ولا يجوز مخالفته بوجه، ولكن هذه الصورة لا تدخل في لفظه، فإنه إنما قال: الفضة بالفضة مثلاً بمثل وزناً بوزن. وهذه الزيادة ليست في مقابلة الفضة، وإنما هي في مقابلة الصنعة، ولا تذهب الصنعة هدرًا. لما أنكر عليه عبادة، فإن هذا من تمام فهم النصوص، وبيان ما أريد بها^(٢).

١٢ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يلبس خاتمًا من ذهب فنبذه، فقال: «لا ألبسه أبدًا» فنبذ الناس خواتيمهم»^(٣).

وعند مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده» ف قيل للرجل بعد ما

(١) سنن ابن ماجه (١٨) وصححه الألباني.

(٢) الصواعق المرسلة ٢/ ١٠٥٩.

(٣) البخاري (٥٨٦٧).

ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به. قال: لا والله لا آخذه أبداً. وقد طرحه رسول الله ﷺ^(١).

١٣- قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: «وقد قال رجل: تأخذ بهذا الحديث يا أبا عبد الله؟ فقال: متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً ولم آخذ به، فأشهدكم أن عقلي قد ذهب»^(٢).

١٤- وقال الحميدي: روى الشافعي يوماً حديثاً، فقلت: «أتأخذ به؟ فقال: رأيتني خرجت من كنيسة، أو عليّ زنار، حتى إذا سمعت عن رسول الله ﷺ حديثاً لا أقول به»؟!^(٣).

١٥- وقال الذهبي: وفي «مسند الشافعي» سماعنا، أخبرني أبو حنيفة ابن سماك، حدثني ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي شريح: أن رسول الله ﷺ قال: «من قُتل له قاتل فهو بخير النظرين: إن أحب أخذ العقل، وإن أحب فله القود»^(٤).

قلت لابن أبي ذئب: «أتأخذ بهذا؟ فضرب صدري، وصاح كثيراً، ونال مني، وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: تأخذ به؟ نعم آخذ به، وذلك الفرض عليّ، وعلى كل من

(١) مسلم (٢٠٩٠).

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٣٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٣٤.

(٤) رواه أبو داود (٤٥٠٤) وأصله في البخاري (٦٨٨٠)، وانظر سير أعلام النبلاء ٧ / ١٤٢.

سمعه. إن الله اختار محمداً ﷺ من الناس فهداهم به، وعلى يديه، فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين، لا مخرج لمسلم من ذلك»^(١).

١٦- وقال رجل للزهري: يا أبا بكر حديث رسول الله ﷺ «ليس منا من لطم الخدود، وليس منا من لم يوقر كبيرنا»، وما أشبه هذا الحديث؟ أطرق الزهري ساعة، ثم رفع رأسه، فقال: من الله ﷻ العلم، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم^(٢).

١٧- ولما ذكر ابن المبارك حديث «لا يزني الزاني وهو مؤمن..» فقال فيه قائل: «ما هذا؟ على معنى الإنكار. فغضب ابن المبارك، وقال: يمنعنا هؤلاء الأنان (كثير الكلام والشكوى) أن نحدث بحديث رسول الله ﷺ، كلما جهلنا معنى حديث تركناه! لا، بل نرويه كما سمعنا، ونلزم الجهل أنفسنا»^(٣).

١٨- وكان أبو معاوية الضرير يحدث هارون الرشيد بحديث أبي هريرة: «(احتج آدم وموسى)، فقال أحد الحاضرين: كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما؟، قال: فوثب هارون، وقال:

(١) سير أعلام النبلاء ١٤٢ / ٧.

(٢) السنة للخلال ٥٧٩ / ٣.

(٣) تعظيم قدر الصلاة ٥٠٤ / ١.

يحدثك عن الرسول ﷺ وتعارض بكيف؟! فما زال يقول حتى سكت عنه».

يقول شيخ الإسلام أبو إسماعيل الصابوني رحمه الله تعالى معلقاً على هذه القصة: «هكذا ينبغي للمرء أن يعظم أخبار رسول الله ﷺ، ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق، ويُنكر أشد الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد رحمه الله تعالى مع من اعترض على الخبر الصحيح الذي سمعه بـ (كيف) على طريق الإنكار له والابتعاد عنه، ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد عن الرسول ﷺ»^(١).

١٩- قال أبو عبد الله المؤذن: «كنت مع ابن أبي شريح في طريق غور، فأتاه إنسان في بعض تلك الجبال، فقال له: إن امرأتي ولدت لستة أشهر. فقال: هو ولدك، قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش»^(٢) فعاوده، فرد عليه كذلك، فقال الرجل: أنا لا أقول بهذا! فقال: إن هذا هو الغزو، وسل عليه السيف. فأكبنا عليه، وقلنا: جاهل لا يدري ما يقول»^(٣).

(١) عقيدة السلف للصابوني ص ١١٧.

(٢) رواه البخاري (٢٠٥٣)، مسلم (١٤٥٧).

(٣) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٢٧/ ٢٦٩)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٧-٥٢٨).

٢٠- قال الحافظ محمد بن طاهر: «سمعت أبا إسحاق الحبال يقول: كنا نقرأ على شيخ جزءاً، فقرأنا قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة قتات»^(١). وكان في الجماعة رجل ممن يبيع القت، وهو علف الدواب، فقام وبكى. وقال: أتوب إلى الله من بيع القت. فقيل: ليس هو الذي يبيع القت، ولكنه النمام الذي ينقل الحديث من قوم إلى قوم، فسكن بكاؤه وطابت نفسه»^(٢).

٢١- ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - في أثناء حديثه عن السلف الصالح - (وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان: أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجدته. فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعية والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق. وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم)^(٣).

٢٢- ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم، وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في

(١) رواه البخاري (٦٠٥٦)، مسلم (١٠٥).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٧٩/٣٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/١٣.

الأوامر والنواهي والشرائع، ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبي صدقت نبيها وآمنت بما جاء، أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها ونهاها عنه، وبلغها عن ربها، بل انقادت، وسلمت، وأذعنت، وما عرفت من الحكمة عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وإيمانها واستسلامها بسبب عدم معرفته، وقد كانت هذه الأمة التي هي أكمل الأمم عقولاً ومعارف وعلومًا لا تسأل نبيها: لم أمر الله بذلك؟ ولم نهى عن ذلك؟ ولم فعل ذلك؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام»^(١).

٢٣- عن الوليد بن عقبة يقول: سمعت داود الطائي يقول: «كم من مسرور بأمر فيه هلكته، وكم من كاره لأمر فيه صلاح دينه ودنياه، غيبت عنا الخيرة، فليس إلا التسليم والرضا والاستكانة والتضرع»^(٢).



(١) الصواعق المرسلة ٤ / ١٥٦٠.

(٢) أخبار أبي حنيفة ص ٢٢.